مُقَدِّمَةُ الإِعْدَاد

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإننا نعيش في هذه الأيام زمناً تقدم فيه العلم المادي تقدماً كبيراً، وأنتج للإنسان من وسائل التمدن والرفاهية الشيء الكثير، وما زال تسارع هذا التقدم مستمراً، ففي كل يوم شيء جديد.

ونتج عن هذا التسارع تسارع آخر، كان على الإنسان أن يقوم به لتحصيل أدوات العصر والاستفادة منها، ولكن أنى له هذا، وظهور الجديد مستمر لا يتوقف.

تسارع في الانتاج يتبعه تسارع في الاستهلاك.

ووصل الإنسان - تبعاً لذلك - إلى حالة اللهاث وراء الجديد، فالمصنِّع يلهث وراء الجديد، والمستهلك يلهث وراء الجديد.

والأمر الغريب أن كلا الطرفين غير قادر على التوقف ليلتقط أنفاسه.

وصاحَبَ هذا التقدم ارتفاع في عدد المرضى، وتنوّع في أمراضهم، وظهور أمراض لم تكن في بني الإنسان من قبل، مما يدل على أنها مفرز طبيعي لهذا التقدم المدني، ففي كل آونة نسمع عن اكتشاف مرض جديد...

وتسارع المخابر ودوائر الصحة إلى البحث عن الدواء الجديد الذي

يعالج المرض الجديد، مما جعل هذه الدوائر في لهاث من نوع آخر.

وتزايدت أمراض القلب، وتنوعت، شأنها شأن غيرها، وارتفعت نسبة المصابين بها حتى وصلت إلى أرقام مخيفة.

تلك هي حال الإنسان اليوم.

وتركيزنا على أمراض القلب، لأن القلب هو مركز الإنسان، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح بها الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، فتأثيرها يصل إلى كل أجزاء البدن.

وتظل أمراض الأعضاء الأخرى موضعية، في إطار العضو المصاب.

وكَثُرَ أطباء القلب والاستشاريون والجراحون... وكثرت العقاقير والأدوية... وأجريت العمليات الجراحية له... مما خفف كثيراً من الآلام.

تلك هي حال القلب في هذا الزمان...

على أن للإنسان قلباً آخر غير منظور، لا يقل مكانة وشأناً عن عضلة القلب التي سبق الحديث عنها. وهو القلب الذي خاطبه القرآن وتحدث عنه في كثير من آياته.

وإذا كان تلف القلب الأول يؤدي إلى الموت، وبالتالي إلى فقدان الحياة الدنيا... فإن تلف القلب الآخر يؤدي إلى تلف الإنسان كلياً، وفقدان الدنيا والآخرة، وكان مثله كالذي تحدث القرآن عنه ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن القلب الآخر غير المنظور.

والمعضلة الكبرى في هذا القلب أن صاحبه لا يشعر بالمرض، إذ ليست له أعراض تظهر على الجسم، كما هو الحال في القلب الأول.

ولذا قد يزمن المرض ولا يدري به صاحبه.

ومن هنا كان على العلماء أن يقوموا بدورهم في نشر الوعي الصحي، وتثقيف الناس في هذا الميدان حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم ولا يؤخذوا على غرة... وقد فعل علماؤنا ذلك.

وإذا كان أطباء هذا النوع من أمراض القلوب في زمننا قلة، فإن عيادات قديمة ما زالت مفتوحة أبوابها، تقدِّم الوصفات والعلاج لزوارها، وتقوم بفحص عام لمن أراد ذلك، وبغير مقابل، ابتغاء وجه الله تعالى، كما تقدم له نشرات التوعية... حتى يهتم بنفسه.

وأذكر على سبيل المثال بعض هذه العيادات.

فهناك عيادة الحسن البصري، وعيادة الحارث المحاسبي، وعيادة الجنيد، وعيادة الغزالي... وغيرهم كثير رحمهم الله وأجزل ثوابهم.

وابن القيم ـ رحمه الله ـ واحد من أعلام هذا الميدان المشهورين، المشهود لهم بالخبرة والدراية والمعرفة، فكان من المستحسن أن نقف على أبوابه بغية الاستفادة من علمه وخبرته.

وهو ما دفعني إلى العناية بهذا الموضوع وإعداد هذا الكتاب راجياً من الله تعالى أن يجعل أعمالي خالصة له، إنه نعم المسؤول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٦ شوال سنة ١٤٢١هـ

١ / ١ / ٢٠٠١م

صالح أحمد الشامي